



المقالة

الإمام السجاد عليّ

سيرة فواحة

وتاريخ مشرق

« الانتباه: الأبحاث والمقالات المنشورة لا تعبر عن رأي «الأفاق» بالضرورة، بل تعبر عن رأي أصحابها

الدينية أو غير الدينية.

فالإخباريون وبطردهم العلوم الأخرى، يلجئون إلى الروايات، والشيوخية، وكي تطمئن بأنها فهمت الدين فهماً صحيحاً. تتحدث عن الركن الرابع، أم السلفية تطرح قضية العودة إلى السلف الصالح، كما رفضت الحجية الفلسفة أي مصدر معرفي لا يرتبط بالمعصوم، وجاءوا بطريق آخر، تعد فكرة حليي وإيديولوجيته كنتيجة لهذا المسلك.

ان أيديولوجية الشيخ محمود حليي، هي نهضة معارضة للمنهج والأسلوب في المقاوم الأول، إذ تحارب كل أنواع الأساليب العلمية والمعرفية، العلم والفلسفة والعرفان وحتى النحو. انه تجاوز مرحلة المنطق ويوجه النقد له، غير انه لم يبيلور منطقاً أو قواعد فكرية علمية جديدة، ولهذا دخل اللاسلطوية المعرفية. حارب الفلسفة والعرفان بلا هوادة، ووجه الاهانات لرموز الفلسفة والعرفان مثل ملا صدرا وابن عربي حتى يعبر عن مشاعره السلبية العنيفة تجاههم، فضلا عن معارضة العرفان والفلسفة، كما تحدث عن كبار فقهاء الشيعة مثل الشيخ مفيد والطوسي بازدراء.

جاءت كل تلك الآراء لعدم رضوخه لكل المناهج والأساليب العلمية، هذه الأيديولوجية التي تعارض المناهج والأساليب تنتهي إلى لاسلطوية منهجية معرفية، ان غياب المعرفة العميقة لكل العلوم وغياب الأخلاق العلمي تعد من أسباب تبني تلك المقاربات.

في مقاربتة اللاسلطوية المعرفية اكتسب الحلم والعلوم الغربية والأساليب الغربية التي لا تعتمد على قاعدة علمية ومزامع بلقاء إمام الزمان وقصص من هذا القبيل، مكانة سامية، ولما كانت تتسم بالقداسة فأنها حلت محل العلوم، بحيث لا يوجد علم يمكنه دحضها ورفضها.

ليس في تاريخ هذا الشرق . الذي هو مهد النبوات . من يضارع الإمام زين العابدين عليه في ورعه وتقواه، وشدة انابته إلى الله، اللهم إلا آباؤه الذين أضأوا الحياة الفكرية بنور التوحيد، وواقع الإيمان. لقد حكت سيرة هذا الإمام العظيم سيرة الأنبياء والمرسلين، وشابههم ببيع ذاتياتهم، واتجاهاتهم، فهو كال المسيح عيسى بن مريم في زهده، وإنابته إلى الله وكالنبي أيوب في بلواه وصبره، وكالرسول محمد صلى في صدق عزمته وسمو أخلاقه... ولا تحد نزعاته الخيرة وأرصدته الروحية، وحسبه أنه وحده في تأريخ هذه الدنيا، قد عرف بزین العابدين ولم يمنح لأحد هذا اللقب سواه.

وبرز الإمام زين العابدين عليه على مسرح الحياة الإسلامية كآلَمع سياسي إسلامي عرفه التاريخ، فقد استطاع بمهارة فائقة .وهو في قيد المرض وأسر الأمويين .أن ينشر أهداف الثورة العظمى التي فجرها أبوه الإمام الحسين القائد الملهم للمسيرة الإسلامية الظافرة، فأبرز قيمها الأصيلة بأسلوب مشرق كان في منتهى التقنين والأصالة والإبداع.

لقد قام هذا الإمام العظيم ببلوة الفكر العام، وإزاحة التخدير الاجتماعي الذي مُنيت به الأمة أيام الحكم الأموي الأسود الذي عمد إلى شل الحركة الثورية في الإسلام، فأحال حياة المسلمين إلى اشلاء مبتعثة ما بها من حياة وإحساس لقد وضع هذا الإمام العبوات الناسفة في أروقة السياسة الأموية ففجرت نصرهم المزعوم أو نسفت معالم زهوهم وجبروتهم، وأعادت للإسلام حياته ونضارته... لقد حقق الإمام عليه هذه الانتصارات الباهرة بخطبه الحماسية الرائعة التي ألقاها على الجماهير الحاشدة في الكوفة، وفي دمشق، وفي يثرب، والتي كان لها الأثر البالغ في إيقاف الأمة وتحريرها من عوامل الخوف والإرهاب.

لقد كان الإمام زين العابدين عليه من أقوى العوامل في تخليد الثورة الحسينية، وتفاعله مع عواطف المجتمع وأحاسيسه، وذلك بمواقفه الرائعة التي لم يعرف لها التاريخ مثيلاً في دنيا الشجاعة والبطولات وكان من بينها أنه حينما حمل أسيراً إلى ابن مرجانة الذي هو أقدر إرهابي على وجه الأرض، فاستهان الإمام به، ونعى عليه ما اقترفه من عظيم الجريمة والإثم، وقابله الطاغية بالتهديد بالقتل، إلا أن الإمام لم يعن به وسدد له السهام النافذة لقلبه ببلغ منطق، وقد كان لحديثه معه صدى هائم في الأوساط الرسمية وغيرها من عامة الناس، وظل يلقي الأضواء على معالم الثورة الحسينية، ويبث موجاتها على امتداد الزمن والتاريخ.

أما خطابه في بلاط يزيد فإنه من أروع الوثائق السياسية في الإسلام، ولا أكاد أعرف خطاباً سياسياً أبلغ، ولا أشد تأثيراً منه في إيقاف الجماهير وتوعية الرأي العام، فقد سد على يزيد كل نافذة يسلك منها للدفاع عن نفسه، وتبرير جريمته في قتله لسيد شباب أهل الجنة، وإبادته للعترة الطاهرة.. وأخذ الناس يتحدثون بإعجاب وإكبار عن خطاب الإمام عليه الذي كان من ثمرات النهضة الحسينية، وصفحة من صفحاتها المشرقة.

وكان من مظاهر تخليده للثورة الحسينية كثرة بكائه على ما حل بأبيه وأهل بيته وأصحابه من أهوال يوم الطف، فقد حرم الإمام على نفسه الفرح والسرور، وذاب أسى وحرناً، وغد من البكاكين الخمس الذين مثلو الأسى على امتداد التاريخ.

وفيما أحسب أن كثرة بكائه ليس من عظم ما مُني به من الخطوب، والمصائب الجسام التي حلت به من فجاجع كربلاء، وإنما كان تخليداً لثورة أبيه التي كانت من أجل تحرير الإنسان من الظلم والعبودية والطغيان، وقد أحدث بكاؤه على أبيه لوعة في نفوس المسلمين ولعل هذه الظاهرة جملة من العوامل التي حفزت الجماهير الإسلامية على مناجزة الحكم الأموي، فقد انطلقت الشرارة الأولى من يثرب، فأعلن أبناء الصحابة عصيانهم المسلح على حكومة يزيد التي استهانت بقيم الأمة ومقدراتها.

واتجه الإمام الأعظم زين العابدين عليه، بعد كارثة كربلاء . صوب العلم لأنه وجد فيه خير وسيلة لأداء رسالته الإصلاحية، كما وجد فيه خير ضمان لراحته النفسية التي أذابتها كوارث كربلاء، وقد هرع للانتهال من بحر علمه أبناء الصحابة، والعلماء والفقهاء، فأخذ يغذهم بعلومه ومعارفه ليكونوا مناراً للعلم والأدب في العالم الإسلامي، ويعرض هذا الكتاب إلى إعطاء صورة من تراجهم. لقد أنبرى الإمام عليه إلى إنارة الفكر العربي والإسلامي بشتى أنواع العلوم والمعارف، وقد دعا ناشئة المسلمين إلى الإقبال على طلب العلم، وحثهم عليه، وقد مجّد طلابه، وأشاد بحملته، وقد نمت ببركته الشجرة العلمية المباركة التي غرسها جده الرسول الأعظم صلى، فأقبل الناس . بلطفه . على طلب العلم ودراسته فكان حقاً من أَمع المؤسسين للكيان العلمي والحضاري في دنيا الإسلام . أمال الثروات الفكرية والعلمية التي أثرت على الإمام زين العابدين عليه فإنها تمثل الإبداع والانطلاق والتطور، ولم تقتصر على علم خاص، وإنما شملت الكثير من العلوم كعلم الفقه والتفسير وعلم الكلام، والفلسفة، وعلوم التربية والاجتماع، وقد عني بصورة خاصة بعلم الأخلاق، واهتم به اهتماماً بالغاً، ويعود السبب في ذلك إلى أنه رأى انهيار الأخلاق الإسلامية، وابتعاد الناس عن دينهم من جراء الحكم الأموي الذي حمل معول الهدم على جميع القيم الأخلاقية فأنبرى عليه إلى إصلاح المجتمع وتهذيب أخلاقه، وتقول عنه الشيعة: إنه حين استسلم الناس لشهواتهم تابعين لملوكهم جعل الإمام يداوي النفوس المريضة بالصرخات الأخلاقية والآيات السامية.

لقد عالج الإمام عليه بصورة موضوعية وشاملة القضايا التربوية والأخلاقية، وبحوثه في هذا المجال من أنفس البحوث الإسلامية وأدقها في هذا الفن.

ولعل من أجمل تلك الثروات بل من أهمها وأكثرها عطاءً في تنمية الفكر الإسلامي هي أدعيته الجليلة التي عرفت بالصحيفة السجادية، والتي أسماها العلماء تارة بزبور آل محمد صلى وأخرى بإنجيل آل محمد صلى وعدوها بعد القرآن الكريم، ونهج البلاغة في الأهمية وهي . بحق . منهج متكامل للحياة الإسلامية الرفيعة، وذلك بما حوته من معالم الأخلاق، وقواعد الاجتماع... ومن

الجدير بالذكر أنها احتلت المكانة المرموقة عند الأوساط العلمية الإمامية فعكفوا على دراستها وشرحها، وقد تجاوزت شروحها أكثر من خمسة وستين شرحاً. كما أن من مظاهر اهتمامهم بها أنهم كتبوا نسخاً منها بخطوط جميلة تعد من أنفس الخطوط العربية، كما زخرفت بعضها بالزخرفة الثمينة التي هي من أنفس الذخائر في الخطوط العربية.

ونعود مرة أخرى للحديث عن الصحيفة السجادية فنقول: إن أهميتها لم تقتصر على العالم العربي والإسلامي، وإنما تعدت إلى العالم الغربي فقد ترجمت إلى اللغة الإنكليزية والألمانية والفرنسية، وأقبل علماء تلك الأمم والشعوب على دراستها، والامعان في محتوياتها، وقد وجدوا فيها كنزاً من كنوز الفكر والعلم، كما وجدوها تفيض بالعتاء لتربية النفس وتهذيبها بمكارم الأخلاق.. ومن الحق أنها أضافت إلى ذخائر الفكر الإنساني ثروة لا تاول، ولن تثمن وأنها قد حوت من ألوان الثقافة العالية ما ندر وجوده في الكتب الدينية والأخلاقية، كما أنها من أهم المصادر في دراستنا عن شخصية الإمام عليه.

أما مثل الإمام زين العابدين عليه وعناصره النفسية فهي مما تبهر العقول وتدعو إلى الاعتزاز والفخر لكل مسلم بل لكل إنسان يدين لإنسانيته، ويخضع لمثلها وقيمها.

لقد تحلى هذا الإمام عليه العظيم بكل أدب، وتزين بكل فضيلة وشرف، وتجرد من كل أنانية، وابتعد ابتعاداً مطلقاً عن جميع زخارف الحياة، ومباهجها، وكان من ألمع نزعاته الإنابة إلى الله، والانقطاع إليه، فقد شاعت في عقله وقلبه وجسمه محبة الله والخوف منه، وأشرقت نفسه بنور اليقين بالله، وامتلات ذاته رجاءً وأملاً برحمة الله... وكان فيما أجمع عليه المؤرخون قد اجهد نفسه ولم يبر الناس في عصره من هو أعبد، ولا من هو أتقى منه، ونظراً لكثرة عبادته فقد لقب بسيد الساجدين، وزين العابدين وإمام المتقين.

وأشفق عليه أهله من كثرة عبادته، وخافوا عليه ما يعانیه من المشقة والإعياء فخفوا مسرعين إلى الصحابي العظيم جابر بن عبد الله الأنصاري، وكان عنده أثيراً، وطلبوا منه أن يلتبس منه في أن لا يجهد نفسه في العبادة فكلمه جابر وطلب منه ذلك برجاء، وكان مما قاله له: أنه بقية النبوة، وبقية الله في الأرض، وأنه ممن يستدفع به البلاء، إلا أن الإمام عليه أصر على ما ذهب إليه من الدأب على العبادة، وملازمة الطاعة، فانطلق جابر يقول بإعجاب:ما رأي في أولاد الأنبياء مثل علي بن الحسين....

حقاً أنه لم ير في أولاد الأنبياء مثل علي بن الحسين في زهده وتقواه، وشدة أنابته لله، وظاهرة أخرى من المثل العليا التي اتصف بها الإمام عليه هو أنه كان كثير البر والإحسان بالعبيد، وكان يشفق عليهم كثيراً، وكان من أهم ما يصبو إليه في حياته تحريرهم من الرق والعبودية، وقد اعتق مجموعة كبيرة منهم، ولو وجد مجالاً لما أبقي رقاً ولعل السبب في ذلك هو القضاء على الرقية وعلى استعباد الإنسان لأخيه الإنسان، وتعريف المسلمين بواقع دينهم العظيم الذي جاء لتحرير الإنسان وإنقاذه من الذل والعبودية، وتحريره فكرياً وجسدياً من جميع ألوان التبعية.

ومن الحق أن يقال: إن هذا الإمام عليه الملهم العظيم ليس لطائفة خاصة من الناس، ولا لفرقة معينة من الفرق الإسلامية دون غيرها، وإنما هو للناس جميعاً على اختلاف عصورهم، بل وعلى اختلاف أفكارهم وميولهم واتجاهاتهم، فإنه سلام الله عليه يمثل القيم الإنسانية والكرامة الإنسانية، ويمثل كل ما يعتز به هذا الإنسان من الكمال والأدأب، وسمو الأخلاق.

ونظراً لسمو شخصيته العظيمة، وما له من الأهمية البالغة في نفوس المسلمين فقد سارعت كثير من الفرق الإسلامية إلى القول بأنه منها، فالمعتزلة التي تعد من أكثر الفرق الإسلامية تخصصاً في البحوث الكلامية، قد عدوه . باعتزاز وشرف . منهم واحداً. كما ادعت الصوفية أنه من أعلامهم، وترجموه له في موسوعاتهم.

وكان المسلمون يرون في سيرة الإمام زين العابدين عليه تجسيداُ حياً لقيم الإسلام وامتداداً مشرقاً لجده الرسول الأعظم صلى، فهو يحكيه في منهجه وسيرته ومآثره وقد ملك القلوب والعواطف بأخلاقه الرفيعة، وكانوا لا يرون غيره أهلاً لقيادتهم الروحية والزمنية، وكانوا يزدرون بملوكهم الأمويين الذين لم تتوفر فيهم أية نزعة من نزعات الفضيلة، وقد دلل على ذلك ما حدث في البيت الحرام في موسم الحج، وكان مزدحماً بالوفود من كل حذب وصوب، فأطل عليهم الإمام ليطوف بالبيت، وكأنما أطل عليهم النبي صلى، فصعدوا تهليلهم وتكبيرهم وازدحموا عليه كازدحمت على الحجر الأسود فكان السعيد منهم من يلمس ثيابه أو يقبل يديه، أو يأخذ التراب من تحت أقدامه لتبرك به، في حين أن خصمه هشام بن عبد الملك عميد الأسرة الأموية كان من جملة الحجاج، إلا أنه لم يعن به أي أحد، وقد خف إليه أهل الشام يسألونه عن هذا الرجل العظيم الذي قابله الجمهور بهذه الحفاوة والتكريم، فأنكر الطاغية معرفته لنلا يزهّد فيه أهل الشام، فأنبرى شاعر البلاد الأموي الفرزدق، وعرفه للجماهير برأئته الخالدة التي مثلت وعي الفكر وبقظة الضمير، وقد استحال البيت الحرام إلى سوق عكاظ، وتعالّت من جميع جنبات المسجد الهتافات بإعادة لرابعة الفرزدق والدعاء له، وقد تميز هشام غيظاً، وانتفخت أوداجه.

لقد كان الأمويون يشعرون بدخالتهم على هذه الأمة، وأنهم ليسوا أهلاً لقيادتها، وإنما فرضوا سلطانهم عليها بقوة السلاح، وإنما معدن الحكم والقيادة للإمام علي بن الحسين، فلذلك كانوا يحقدون عليه، وقد أدلى الوليد بذلك قال: لا راحة لي وعلي بن الحسين موجود في دار الدنيا... وقد عمدوا إلى اغتياله كما اغتالوا غيره من أئمة المسلمين، وأعلام الإسلام من الذين كانوا يشكلون خطراً عليهم.

المصدر: WWW.Erfan.ir

من اللاسلطوية المعرفية إلى اللاسلطوية السياسية

ملاحظة

نظرة على الأيديولوجية السياسية لمؤسس جمعية المحتية

الجمعية ومن دون الإشارة إلى هذه القضايا تعاملت مع البهائية كفرقة عقائدية وكرزت أنشطتها في محاربة البهائية على المستوى الهامشية. كان حليي وجمعية الحجتية، يريان محاربة البهائية في ظل دعم حكومة البهلوي، محاربة كانت واضحة المعالم والنتائج، القضية الأخرى التي شكلت خطأ استراتيجي في محاربة البهائية هي أنها تركت الصهيونية وإسرائيل كأهم داعم للبهائية، وواجهتها كظاهرة مستقلة وكطائفة، وحتى عندما كانت تتحدث عن العنصر الخارجي فأنها كانت تنتهي بالحديث عن روسيا وبريطانيا، بينما لم يكن بوسعها إثبات هذا الأمر، ولم تمتلك أي أدلة، فكل الوثائق كانت تتحدث عن علاقة البهائية بأمريكا وإسرائيل.

بعيداً عن دوافع حليي، فانه في نهاية المطاف، كانت يحارب البهائية بإشراف السافاك، ولهذا استطاعت الجمعية ان تتطور وتنمو في ظل سلطة السافاك عندما كانت كل الجمعيات والمؤسسات محاربة.

في مقابل هذه الإستراتيجية في مواجهة البهائية، تقف إستراتيجية الإمام الخميني عنه، فالإمام في نهضته التي بدأها منذ عام ١٣٢١ في محاربة البهائية، لكن وبدلاً من تأسيس جمعيات بإشراف السافاك في مختلف المدن، حارب أساهها أي الحكم البهلوي والصهيونية وإسرائيل، لكن ما هي نتيجة الإستراتيجيتين والنضاليين؟ في أسلوب نضال حليي شاهدنا نمو البهائية وفتحها كل المراكز، غير انه في منهج الإمام التوري، ظهرت حقيقة تعدها البهائية أكبر أزمتهما التاريخيّة.

المصدر: مركز وثائق الثورة الاسلامية

هي التي لفتت انتباه الحكومة البهلوية بفسح المجال للجمعية في الأجواء السياسية المغلقة بعد الانقلاب العسكري في ٢٨ مرداد عام ١٣٣٢، مع ان هذه الأيديولوجية كانت تعارض النزعة القومية والماضوية للحكم البهلوي والنزعة الحداثيّة، لكنها استغلت هذه الآلية لتطوير بعض سياساتها واحتواء القوى الدينية.

الدوغمائية والشمولية جسر نحو الاستبداد السياسي من السمات المهمة لهذه الأيديولوجية هي الدوغمائية والشمولية، فأتباع هذه المدرسة ولما كانوا يرون ان معارفهم هي معارف إلهية، فأنهم كانوا يرون بان علومهم معصومة وإلهية، وتفوق علوم الآخرين الإنسانية التي يدخل فيها الخطأ.

« الإستراتيجية الخاطئة في محاربة البهائية

بالرغم من المحاضرات الكثيرة التي ألقاها حليي في العهد البهلوي، إلا انه لم يوجه نقده للقضايا السياسية إلا قليلاً. وفي هذه الفترة وبدلاً من محاربة أسباب الفساد السياسي والاقتصادي والاجتماعي، جعل محاربة الفلاسفة والعرفاء المسلمين على رأس أولوياته، وتطرق إلى نقد البهائية ورفضها قليلاً، مع انه كان يترأس جمعية الحجتية، وكانت الجمعية ترى نفسها رائدة في محاربة البهائية، فضلاً عن هذا فان إستراتيجية الجمعية في محاربة البهائية كانت إستراتيجية خاطئة، ولم تترك تأثيراً في الحوّل دون تطور هذا التنظيم السياسي. فالبهائية كان تنظيماً سياسياً تابعاً لإسرائيل وأمريكا، إذ تغلغل في مختلف المجالات الاقتصادية والسياسية والعسكرية والثقافية في حكم البهلوي، غير ان